الاماني والاحلام

تلك الاماني يتركن الفتى ملكاً دون السماء ولم ترفع له راسا

ومن منا لم تُثِلْهُ الاماني مُلْكاً ومالاً ان لم يكن في الهواجس ففي الاحلام . والانسان يحلم في نهاره كما يحلم في ليله فتتمنّى اموراً كثيرة يعجز عن ادراكها ولكنهُ يردع نفسهُ عن المجاهرة بامانيهِ لئلاَّ يضحك الناس منهُ ولا يجاهر الاَّ بتمني ما يُحتَمل الحصول عليهِ لمن كان في منزلتهِ . وتكثر الاماني التي يكتمها المرء لانهُ يراها مما يستحيل الحصول عليهِ فتبقى ذكراها في نفسهِ وتعود الى مخيلتهِ آونةً بعد أُخرى فيهذُّ بها في اليقظة واما في النوم فالقيد الذي يقضي بكتمانها ويحول دون ظهورها يُكسر فيعيش المرء ليلاً في احلامهِ متقلباً بين امانيهِ المختلفة تتناوبهُ الواحدة بعد الاخرى وتتزاحم عليهِ ولذلك ذهب العالم فرود المسموي منذ بضع سنوات الى ان الاحلام اماني محفوظة آثارها في اعماق النفس فتتحكَّم فيها نهاراً فتخفيها ولكن سلطانها عليها يزول في النوم فتتغلَّب علينا . فنُسب هذا المذهب اليهِ

الاَّ ان المرء لا يستطيع ان يلجم لسانهُ دائماً في يقظتهِ حتى لا يبوح بما يكتُمُهُ ضميرهُ من اماني نفسهِ . وما اكثر فلتات اللسان التي تنبئُ عن حقيقة الانسان . قيل في امثالنا العامّة « خذوا اسرارهم من صغارهم » لان الصغار لا يستطيعون ان يلجموا السنتهم ويتظاهروا بما ليس فيهم كالكبار . وقد يحتال متسقِّطو الاخبار على المرء فيسكرونهُ أو ينوِّمونهُ النوم المغنطيسي ليكتشفوا اسرارهُ وهو سكران او نائم

وفلتات اللسان الدالَّة على ما يكتمُهُ الجنان كثيرة ولكن ابن الدهر يحفظ لسانهُ كما يحفظ مالهُ ولا يثِقُ لسان الحكيم عليهِ الاَّ اذا هاج او سكر او اصابهُ بحران فتعدم حصاة اللسان ويفشي المرء خبايا نفسهِ وما كتمهُ ضميرهُ . ولقد احسن من قال

وان لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاة على عوراتهِ لدليلُ

وقد يكون هذا شأن المرء كلَّما اشتدَّ فتبدر منهُ بوادر ترثها من آبائهِ واجدادهِ . . اما في النوم حين تضعف القوة الحاكمة التي تمنع المرء من المجاهرة بامانيهِ فان هذه الاماني تقف امام ذهنهِ كلها — اماني الصبا واماني الشباب الآمال المخبوءة في العقل الباطن . ولا ينبغي ان نفكر بها حينئذٍ بالفاظ مسموعة او نعبّر عنها بكلمات ملفوظة بل يكفي ان نرمز اليها رمزاً فان لغة الرموز كانت قبل لغة الكلام فيحلم النائم انهُ جمع بدرات الدنانير بيديهِ اذا اشتهى الغنى في يقظته ويطير في الجو اذا لم يتمكن من ركوب المركبات على الارض

ولا يخفى ان الاحلام قلما تكون سلسلة منتظمة الحلقات بل الغالب ان تكون متقطعة لا اتصال بين اجزائها ولا ائتلاف بينها كأنَّ قوةً في النفس نزعت منها الحلقات التي تصل بينها ولكن احلام الصغار ليست كذلك بل هي في الغالب منسجمة متصلة فكيف تنزع الروابط من احلام الكبار حتى يزول ارتباطها بعضها ببعض

من رأي العالم فرود واتباعه ان في العقل رقيباً يرقب الافكار والآمال وينتزع منها ما لا يحسن اظهاره ويحفظهُ في مخادع النفس اي فيما سميناهُ بالعقل الباطن حيث لا نشعر بوجوده . وعندهم ان هذا الرقيب ديدبان واقف بين ما نشعر به وما لا نشعر به . وبنفي غيرهم وجود هذا الرقيب ويقولون ان بعض العادات او الغرائز يردع البعض الآخر ويمنعهُ من الظهور . وهذا اقرب الى العقل لان وجود الرقيب لا يقوم عليهِ دليل ولكن كون العادات تتناقض ويقمع بعضها البعض الآخر من الامور المحسوسة المتعارفة . فان الذين يربون في الفاقة وبين اناس لم يألفوا الرفاهة وآداب الطبقات العليا ثم يثرون او يرتقون ويتخلقون باخلاق اهل الرفاهة والوجاهة تحاول عاداتهم القديمة التي الفوها في صغرهم ان تظهر فيهم اونة بعد اخرى فتردعها الاخلاق الجديدة التي تخلقوا بها ويسهل ذلك عليهم ما داموا متيقظين منتبهين فاذا غفلوا بدت منهم اعمال توافق عاداتهم القديمة واذا ناموا فاكثر احلامهم يكون بحوادث السنين الغابرة حينما كانوا فقراء او بما يتعلق عليها

يحكى ان رجلاً من فقراء لبنان قصد البلاد الانكليزية فسكنها واثرى وتزوج فيها وتخلَّق باخلاق الراقين من اهلها وبعد نحو ثلاثين سنة عاد الى وطنهِ ومعهُ ابنة صبيَّة لهُ فرحَّب به اهل قريتهِ واولموا لهُ وليمة على عين ماء في جوار القرية فاكلوا وشربوا وطابت نفوسهم وجعلوا يغنون ويضربون على « الدربكة » على جاري عادتهم فثارت اشجان الرجل وتذكَّر ايامهُ السالفة حينما كان يغني غناءهم ويلعب لعبهم فتناول الدربكة منهم وجعل يقرع عليها ويغني ويرقص فخافت ابنتهُ وجعلت تناديهِ بالانكليزية وتقول father father وهو يقول بلا father بلا mother ويكرر الغناء العربي غناء اهالي لبنان . اي تغلبت عاداتهُ القديمة حينئذٍ على العادات الجديدة التي كانت تردعها قبلاً

ومتى تناقضت العادات تعذَّر على المرء ان يتابع المتناقضات في وقت واحد فيجاري الواحدة ويترك الاخرى فتكون النتيجة ان بعض عاداتهِ يردع البعض الآخر ويوقف عملهُ

وقد يضطر المرء ان يغير عاداتهِ ولو لم ينتقل من بلاد الى اخرى او من حال الى آخر

بل ان مجرّد التقدُّم في السن يدعو الى ترك بعض العادات والملكات الموروثة سواءٌ كانت طالحة او صالحة والى ترك اماني الصبا واماني الشباب . لكن ما يُترك من هذه الاماني وتلك العادات لا يمحي اثرهُ من النفس بل يبقى فيها ويستأنف ظهورهُ كلما غفل الرادع لهُ عنها . واشلة ذلك كثيرة جدًّا منها انهُ يرغب شاب في تعلُّم فن التصوير ليصير مصوراً لانهُ يرى في نفسهِ ميلاً اليهِ لكن والديهِ وذويهِ يرغبانهِ في تعلُّم علم الحقوق ليصير محامياً او قاضياً حاسبين ان ذلك اجدر بمقامهِ . فيترك التصوير ويتعلم الحقوق ولكن ما كان يرغب فيهِ في صباهُ يبقى في نفسهِ ولا يزول اثرهُ منهُ ولو شاخ فتراهُ جالساً على منصة القضاء يسمع ادلة الخصوم وقلمهُ يرسم على ما امامهُ من الورق رؤوساً وطيوراً وحشرات . وآخر يميل الى التزوج ولكنهُ يخاف من كثرة النفقة او يرى امهُ واخواتهِ يتفنَّنَ بيتهُ ويقمن بكل حاجاتهِ البيتية فيهمل ازدواج الى ان يكتهل ولكن ميل الصبا لا يزول كلهُ من نفسهِ بل يساورهُ مرة اخرى حتى لقد يتزوج وهو كهل . وآخر يتزوج رغبة في الزيجة فلا يرى من زوجتهِ ما يرضيهِ و يقع النفور بينهُ وبينها فيعكف على اعمالهِ و يغوص فيها حتى ينسى ما فعل اي انهُ يردع آمالهُ واماني صباهُ ولكنهُ قد يعود متى اكتهل ويصطلح مع زوجتهِ لالل سبب

والامثلة التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا ومفادها واحد وهو ان اكثر الناس يضطرون ان يردعوا اماني الصبا واماني الشباب بل اماني الكهولة ولكن ما يردع منها لا يزول من النفس وغاية في الامر انهُ يتوقف عن الظهور ما دام الرادع لهُ قويًّا فعَّالاً فاذا ضعف هذا الرادع بالنوم بدت الاماني في صور الاحلام وقد يتخللها امور كثيرة تحدثها المؤثرات المختلفة التي تؤثر في النائم من اتصالهِ بفراشهِ ومن النور والظلمة وبجاري الهواء وما اشبه ثم اذا هو استيقظ فالغالب انهُ لا يتذكر الاَّ القليل مما حلمهُ

هذا تعليل آخر للاحلام ولما يبدو من الانسان اذا سكر او حشش او استهوي او اصابهُ الهجران فهذى وذكر اموراً حفظها في صغرهِ او طرقت اذنيهِ ولم ينتبه لها بل حفظت في عقلهِ الباطن . ومن هذا القبيل تكلم السكارى والحشاشين والمستهوين بالرموز لان لغة الرموز اقدم لغات البشر . طلبنا مرةً من فتاة عصبيَّة المزاج ان تضع يديها على البلنشت ليكتب اجوبة المسائل التي تطرحها عليها ولما كررنا عليها بعض المسائل اصابها نوع من الاستهواء الذاتي وجعلت تحرك البلنشت بيديها وتكتب بهِ وهي لا تدري وتجيب عن المسائل التي تطرح عليها اجوبة من نوع الرموز والكتابات او من الاقوال المأثورة التي حفظتها بمطالعاتها الكثيرة فاذا سُئلت هل يرتفع ثمن القطن بعد الآن اجابت « الاسعار

والاعمار بيد الله » . واذا سُئلت هل يباع القطن بالاسعار الحاضرة اجابت « عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة » واذا سُئلت عن من صحة للخبر الفلاني اجابت « لا دخان بلا نار » اي كان قلم البلشت يكتب بالانكليزية ما هو بمعنى هذه العبارات . ولا يخفى انها كانت اذا التبهت لا تذكر انها كانت تحرك البلشت ولا انها كتبت ما كتبت

الفهد في الصيد

لا يزال ملوك الهند يربون الفهود ليصطادوا بها الغزلان كما كان يفعل ملوك الفرس والعرب

ومن عادتهم انهم اذا زارهم ضيف كريم وارادوا تسليتهُ خرجوا معهُ لصيد البر وهو الصيد الاكبر او لصيد الغزلان وهو اقل شأناً وقد يقيمون المنازل حيث يكثر الصيد يضمون فيها الافيال والفهود لهذه الغاية

كتب بعضهم في مجلة العالم الانكليزية قال كنت ذاهباً انا وصديقي فلان الى بلاد كشمير في اعالي السند فعرّجنا على جمّو قصبتها الشتوية اجابة لدعوة المهرجا وهي في السفح الغربي من جبال الهملايا على حد سهول البنجاب ومضينا الى المنزل الذي دعانا اليهِ لنخرج منهُ للصيد فوجدنا المهرجا غائباً لاشغال اقتضتها مهام بلادهِ لكنهُ اعدَّ لنا ما يلزم لراحتنا فاس أن نعطي فيلين وركوبنا اذا خرجنا لصيد البر . فوجدنا ان صيد البر في السهول ضرب من المحال لكثرة ما يقتضيهِ من الافيال والرجال فعدلنا عنهُ بعد ما حاولناهُ على غير جدوى وعزمنا على الرجوع الى طريقنا لكن الفهّاد اشار علينا ان نذهب معهُ لصيد الغزلان لان صيد البر لا يتيسر في غيبة المهرجا

والصيد بواسطة الفهود خاصٌّ بالفهّاد نفسهِ والذين يخرجون معهُ انما هم مشاهدون لاغير لكنهُ لا يخلو من التسلية ولاسيما اذا شاهدهُ الانسان اول مرةٍ ولم يكن معهُ اناس كثيرون ينفرون الطرائد و يقفون بينهُ و بين الفهود فلا يراها في تهيئها للصيد ووثوبها على طرائدها . وهذا هو الصيد الذي قُسم لنا ان نراهُ فلم نخرج اليهِ بافيال ولا بموكب كبير

قمنا في الصباح وخرجنا مع الفهّاد الى الجهة الغربية من جمّو ومعهُ فهدان فقط في مركبة تجرها الثيران وسرنا والسهول تنطوي امامنا الى ان شاهدنا الغزلان عن بُعد